

المدرسة و جهود الإصلاح التربوي في الجزائر

" ما مدى مساهمة ثقافات المدرسة في بلورة عملية الإصلاح "

الاستاذ : عبد الناصر سناني

قسم علم النفس كلية الاداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية
جامعة باجي مختار عنابة الجزائر

ملخص:

تسعى الكثير من دول العالم لإصلاح منظومتها التربوية ، قصد مسايرة ومواكبة متطلبات التقدم و النمو، والجزائر ليست استثناء، حيث عملت منذ الاستقلال على تطوير منظومتها التربوية و جعلت من إصلاحها عملية مستمرة. ورغم تواتر سياسات الإصلاح، إلا أنها في أغلبها لم تكن كما يرى البعض "إصلاحا reforme بقدر ما كانت إعادة تشكيل (re-forme)"، فلمعالجة التربية الخالصة قد لا تكون ذات نفع كبير إذا لم تأخذ بعين الاعتبار جملة من العوامل في مقدمتها ثقافات المدرسة ، فالمختصين في الحقل التربوي، يؤكدون على أن الإصلاح الذي يغفل ولا يقدر تقديرا صحيحا لقوة الثقافات القائمة في المدرسة، أي لا يخدم ولا يراعي هذه الأخيرة، ويكون مفروضا من فوق ماله بالفشل .

من هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية كمحاولة للإجابة على السؤال التالي: ما ثقافات المدرسة ؟ وكيف تؤثر بسلب او الايجاب على جهود الإصلاح التربوي الذي تعيشه المدرسة الجزائرية؟

Résumé :

L'Algérie, comme tous les pays au monde s'est engagée dans un processus de réforme de son système

d'enseignement pour relever les aux défis et répondre aux exigences du développement.

Depuis l'indépendance, l'école algérienne à passé par différentes étapes jalonnées par un ensemble de réformes qui ont tenté d'assurer, à chaque fois, son adaptation aux besoins de l'environnement socio économique du pays. Malgré les efforts consentis, des dysfonctionnements se sont accumulés au fil des années et ont fait que l'école algérienne apparaît aujourd'hui en inadéquation avec les changements importants qu'a connus notre pays.

Les différentes réformes changements n'ont pas tenu compte du terrain culturel propre à l'école algérienne.

Cet article se veut une tentative de description des cultures présente dans l'école algérienne ainsi ses effets sur les efforts en vue de reformer celle-ci.

فالنهوض بالتعليم هو نقطة البداية الصحيحة في أي إصلاح يستهدف إقامة مجتمع قادر على مواجهة تحدياته

المقدمة:

تسعى كل الأنظمة والحكومات إلى الاهتمام بالنظام التعليمي التربوي و تحسينه وتطويره، كونه المقياس الحقيقي لحضارة الأمة في الوقت الحاضر، وهو الخيار الأوحده في عالم يشهد تغييرات كثيرة ومتعاقبة، والذي من خلاله نستطيع رسم صورة المستقبل الذي نريد، والتنبؤ بجيل مؤهل قادر على التفاعل مع معطيات العصر ومتغيراته⁽¹⁾، وعند حديثنا عن التعليم و قضاياها فان أول ما يتبادر إلى الأذهان ، المحطة الأولى في إعداد النشء وتأهيل قيادات المجتمع في كافة المجالات ألا وهي المدرسة. والتي قال عنها على وظفه ما تزال: "البوتقة التي يتشكل فيها الإنسان ويتكون تربيوا ، فالمدرسة ليست مجرد مكان يجتمع فيه الأطفال أو الناشئة من اجل اكتساب المعرفة، بل هي تكوين معقد و بالغ التعقيد من تكييفات رمزية ، ذات

طابع اجتماعي، لقد تطورت المدرسة من مكان بسيط يتلقى فيه الفرد معرفة إلى كينونة رمزية معقدة، ومن ثم تحول دورها الوظيفي من عملية تعليم الإنسان إلى تشكيل الإنسان وبناء المجتمع وإعادة إنتاجه حضارياً و إيديولوجياً، لقد تحولت المدرسة باختصار من ظاهرة تربوية بسيطة إلى ظاهرة اجتماعية بالغة التعقيد⁽²⁾، والتي هي اليوم، بحاجة إلى إصلاح مستمر لتواكب التغيرات، وتؤدي الدور المناط بها.

"هكذا، نجد عدداً في الخطاب البيداغوجي المعاصر، بين متفائل يرى إمكانية مشروطة لتواصل المدرسة دورها الريادي

(Develay.M, Rochex.J.Y) وبين متشائم إلى حد ما، يرى أن الحديث عن المدرسة يشبه "وضع بعض الورود في المقبرة (Astolfi. J-P) أو أنها أنهت أحسن ما عندها (Beillerot.J) ... ما لم تجدد علاقة المدرسة بالمعرفة في إطار إصلاح الفكر عموماً، يخلق نوع من التوتر اتجاه هذه الأخيرة، يقضي في النهاية بأن تكون أكثر جاذبية وتشويقية"⁽³⁾.

تحديد المفاهيم:

يشهد عالمنا اليوم العديد من التغيرات والتحولات في جميع الميادين وعلى الأصعدة كافة ونتيجة لذلك احتلت مسألة التطوير التربوي والإصلاح المدرسي مركز الصدارة في فكر التربويين وضمن أولوياتهم، فما الإصلاح التربوي؟

المفهوم اللغوي للإصلاح:

الإصلاح في اللغة جاء من الفعل صلح : والصلح :ضد الفساد، صلاحاً وصلوحاً .والإصلاح نقيض الإفساد . وأصلح الشيء بعد فساده :أقامه وجعله صالحاً⁽⁴⁾

المفهوم الاصطلاحي:

يعرفه الحجار : بأنه :عملية تهدف إلى التجديد والبحث عما هو أحسن وأفضل في النظام المدرسي، ولا بد أن يكون هذا الإصلاح مستمراً وشاملاً لجميع السياسات والأهداف والموارد البشرية والمادية في المدرسة.⁽⁵⁾ في حين ويعرفه الحارثي : بأنه عبارة عن أية محاولة فكرية أو عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي سواء كان ذلك متعلق بالبيئة المدرسية أو التنظيم و الإدارة أو المنهاج التعليمي أو طرق التدريس أو الكتب الدراسية وغيرها.⁽⁶⁾

الإصلاح المدرسي:

يسعى هذا المفهوم إلى تفسير التطور الذي تسعى إليه المدرسة من أجل تحسين وضعها التعليمي وممارساتها التربوية المستقبلية، هذا ما يتطلبه التصور المستقبلي للمدرسة في المراحل المعاصرة.⁽⁷⁾ إذ يعرف الكراسنة و الخزاعلة: أن الإصلاح المدرسي ينبغي أن يقوم على السعي الدءوب لتغيير واقع المدرسة الحالي من خلال تغيير مدارك الأفراد وممارساتهم فيها وجعلها متمحورة حول العنصر الإنساني.⁽⁸⁾ أما الصغير فيعرف بأنه: " عملية يتم من خلالها مراجعة وتقويم واقع الأداء المدرسي بشكل عام، بحيث يؤخذ في الاعتبار العوامل المؤثرة داخلية كانت أو خارجية، وتشخيص جوانب القوة وجوانب الضعف، بطرق علمية سليمة، ثم إدخال تغييرات وتجديدات، تعالج جوانب الضعف وتدعم جوانب القوة، وتحسن من الأداء المدرسي ".⁽⁹⁾

مداخل الإصلاح المدرسي:

يذكر الكراسنة و الخزاعلة، أن مداخل الإصلاح متعددة ومتنوعة بتنوع الأهداف والغايات التي وجدت من أجلها المدرسة في المجتمعات الإنسانية المختلفة؛ فمنها ما انطلق من تغيير المناهج المدرسية أو إعداد المعلمين وتأهيلهم، ومنها ما تبنى تغيير الخطط الدراسية وتصميم التدريس، أو إعادة تشكيل البنية التحتية للمدرسة وتنويع مصادر وتقنيات التعلم المختلفة.

ومنها ما أكد على إصلاح الإدارة المدرسية، أو إشراك المجتمع بعناصره ورموزه المختلفة، ومنها ما قام على الدعوة إلى حوسبة التعليم . وجهود الإصلاح المبذولة وفقاً لهذه المداخل تأتي انسجاماً مع التطور والتغيير التربوي في مختلف مدخلات العملية التربوية.⁽¹⁰⁾

مستويات الإصلاح المدرسي

يمكن التمييز بين مستويين رئيسين للإصلاح المدرسي هما:
أ - تغيير أو إصلاح تدريجي وصغير: على نحو مستمر حيث يصبح الهدف إحداث تغيير محدود وتحسينات مستمرة بمرور الوقت، مثل: تغييرات جزئية في المناهج أو التدريس أو التطوير المهني
ب - تغيير أو إصلاح مدرسي ضخم وشامل: يتطلب هذا المستوى الشامل من الإصلاح إعادة النظر في جميع مكونات وعمليات المدرسة:

مبادئ (مرتكزات) الإصلاح المدرسي:

وحتى يتسنى لعملية الإصلاح المدرسي أن تحقق أهدافها، لا بد لها من مرتكزات أجمعها الخطيب بالمبادئ الأساسية التالية:
أ - الحداثة أو التحديث : ويتمثل هذا المبدأ بضرورة تحديث نظم التعليم لممارستها وإجرائاتها، بحيث تواكب هذه الممارسات ما طرأ من تطور على نظريات التعلم والتعليم، فضلاً عن ضرورة مواكبة التطورات التي طرأت في المجالات العلمية والمعرفية والتجارب والخبرات الإنسانية.
ب - المرونة : ويتمثل هذا المبدأ بقدرة نظم التعليم على تلبية الاحتياجات التربوية والعلمية المتجددة والمتفاوتة للطلبة.
ت - الارتباط أو العلاقة : ويتمثل هذا المبدأ بضرورة ارتباط نظم التعليم أو إقامة العلاقة بين هذه النظم والاحتياجات والمطالب المتغيرة والمتجددة للمجتمعات المعاصرة.⁽¹¹⁾

ويعتمد نجاح مشروع الإصلاح المدرسي على تفاعل إيجابي بين هذه المقومات، فالعلاقة بينها هي علاقة اعتمادية أي أن من غير المحتمل أن ينجح الإصلاح المدرسي حتى وإن كان ملائماً للمتعلمين ما لم يصاحبه تهيئة مناسبة لهيئة التدريس وللبيئة الحاضنة المدرسة بكل استحقاقاتها المادية والثقافية،⁽¹²⁾

مراحل الإصلاح التربوي للمدرسة الجزائرية:

عرفت المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال إلى غاية اليوم، جملة من الإصلاحات الغاية منها، تحسين وتطوير المنظومة التربوية و الدفع بها و جعلها تواكب سياسات التنمية و متطلبات ومتغيرات العصر والسؤال الذي يطرح نفسه إلى أي مدى نجحت الدولة الجزائرية في سياسات الإصلاح المختلفة و التي باشرتها منذ الاستقلال إلى اليوم؟

- مرحلة ما قبل الاستقلال:

كان التعليم منتشرًا نسبيًا قبل دخول الاحتلال الفرنسي في القرى والمدن و كانت هناك أعداد كبيرة من الجزائريين يترددون على المؤسسات التعليمية للتفقه في أمور الدين و الدنيا ، وهذا ما ذكره العديد من الفرنسيين في شهاداتهم، حيث ذكر بليسي دورينولد Plessier de Reynold في هذا الموضوع عام 1936 "أن التعليم الأولي منتشر بينهم (الجزائريين) بمقدار انتشاره عندنا على الأقل، ففي معظم القرى و البلديات مدارس للقراءة والكتابة" إلى جانب ما ذكره كذلك كل من الجنرال ولسن استرهازي Welsen Esterhazi و و يفون توران Yvonne turin في كتابها "المواجهة الثقافية في الجزائر المستعمرة" عن دوماس قوله " أن التعليم الابتدائي كان كثير الانتشار بالجزائر أكثر مما نعتقد عادة". و أول ما عمد له الاستعمار، مطاردته لعلمائها وتشريدهم... وهدم الكثير من الكتاتيب و الزوايا، إلا أن أكبر ضربة وجهت للتعليم في الجزائر هي مصادرة الأملاك الدينية و الأوقاف، بقرار من الحاكم العسكري الفرنسي "كلوزيل" سنة 1830.⁽¹³⁾ ، وعليه فقد عاشت المدرسة

في الجزائر طوال فترة الاستعمار عيشة انعزال كامل عن البيئة الجزائرية لأنها كانت منذ نشأتها مدرسة أجنبية عنها لم توجد في الأصل لخدمتها والانفعال بمشاكلها ولذلك بقيت الدراسة بها تتعلق باهتمامات وقضايا بعيدة كل البعد عن اهتمامات وقضايا البيئة الجزائرية و الثقافة القومية الجزائرية والشخصية الوطنية العربية الإسلامية⁽¹⁴⁾

- مرحلة ما بعد الاستقلال 62-76، 70: لقد ورثت الجزائر غداة استقلالها في 5 يوليو 1962 فيما ورثته من التركة الاستعمارية نظاما تربويا يفتقد التوازن الأساسي في هيكله العام، ويعاني اختلالا كبيرا في مجالات عديدة. حيث لم يتحرك النظام التربوي الاستعماري للجزائر سوى 6 مدارس أو مصطلح على تسميته (نورمال ، عادي) ، توجد بالعاصمة، ووهران، وتلمسان، وقسنطينة، وكان حجم استيعاب المدارس الستة المذكورة الإجمالي لا يتجاوز ألف طالب وطالبة فقط.⁽¹⁵⁾

وتعتبر مرحلة انتقالية حيث كان لابد لضمان انطلاق المدرسة من الاقتصاد على إدخال تحويلات انتقالية تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي يساير التوجهات التنموية الكبرى وفي هذا الإطار، نصبت سنة 1962 لجنة لإصلاح التعليم عهد إليها وضع خطة تعليمية واضحة ونشرت اللجنة تقريرها في نهاية 1964 (تعميم التعليم بإقامة المنشآت التعليمية وتكيف المضامين التعليم الموروثة، التعريب التدريج)، وفي هذه المرحلة اعتمدت المقاربة التقليدية (المقاربة بالمضامين) على غرار مناهج الدول الشقيقة أهم مميزاتهما "إن المدرس ينظم ويحضر ويشرح الدروس والتلميذ يجتهد، يستمع، يحفظ، يتذكر المعرفة، استمر ذلك إلى أن تم تعميم المدرسة الأساسية في أواخر السبعينات.

- المرحلة الثانية 70، 76-1980: عرفت الفترة الممتدة من 1970-1980 إعداد مشاريع إصلاحية كمشروع 1973 المتزامن ونهاية المخطط الرباعي الأول و بداية المخطط الرباعي الثاني ومشروع وثيقة الإصلاح التعليم سنة 1974

التي صدرت بعد تعديلها في شكل أمر رقم 35-1976 وهو الأمر المتعلق بتنظيم التربية و التكوين الذي أكد على إنشاء المدرسة الأساسية وتوحيد التعليم الأساسي وإجبارية وتنظيم التعليم الثانوي.

في هذه المرحلة كان العمل بالمقاربة بالأهداف أو بيداغوجية الأهداف، حيث صار الأستاذ يشخص الحاجات والوضيعات ويحدد الأهداف بمعية التلميذ الذي تحول من متلقي للمعرفة إلى مساهم في انجاز الدرس ،باحثا على المعرفة و مواطن استغلالها.استمر العمل بيداغوجية الأهداف إلى غاية

2007-2008

-المرحلة الثالثة 1980-1990: من أهم التطورات التربوية والعلمية التي أدخلت على المدرسة الجزائرية بقصد إدماجها في المحيط الاجتماعي وجعلها جزءا من الحياة الجزائرية بل وقائدة لعملية التطور الثقافي و التكنولوجي والعلمي في البلاد ما يطبع هذه المرحلة أساسا هو إقامة المدرسة الأساسية ذات التسع سنوات ،ابتداء من الدخول المدرسي 80-81 حيث تم تصميمها لتكون وحدة تنظيمية شاملة ومتكاملة ومندمجة ففي المرحلة الثالثة 2003 ،كان العمل بالمقاربة بالكفايات بمعنى(تعليم التعلم- أي جعل التلميذ محورا أساسيا فالمعلم يوجه التلاميذ إلى اكتساب القدرة على التحليل و التركيب في حل المشكلات ومن تم جعل التلميذ يسعى لاكتساب الكفاءات و تطويرها لا جمع المعارف وتخزينها⁽¹⁶⁾.

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت والمبذولة من اجل النهوض بالتعليم، إلا أن نظرة تحليلية مدققة لأحوال وواقع المدرسة الجزائرية، تشعرننا بأنها مازال أمامها الكثير من التحديات، وهي بحاجة شبه مستمرة إلى التطوير والتجديد. فجل الخطابات الفاعلة في الحقل الاجتماعي، تكاد تتفق على أن أزمة النظام التربوي في الجزائر مردها إلى خلل وظيفي وتقني، يكفيه جملة من التعديلات البسيطة ليعود النسق إلى حالة توازنه، إلا أن الرؤية العلمية تدعو إلى تصور عميق للأزمة في شموليتها، كونها متعددة العوامل ومتسمة بتشابك علائقي وتاريخي يرتبط بالإرث الاستعماري. وهكذا فبالرغم من كون الجزائر قد

حددت منذ الاستقلال مجموعة من المبادئ التي اعتبرت مذهبية التعليم، فإن التعامل مع هذه المبادئ قد ظل على العموم محكوما بالظرفية، وخاضعا لأهداف كثيرا ما كانت حقل للصراعات بين القوى المهيمنة على الحقل الاجتماعي. إن هذا الوضع أطل من عمر العجز، وشكل عائقا للانتقال بالنظام التربوي الجزائري من مرحلة المبادئ العامة إلى مرحلة الفلسفة التربوية المتكاملة العناصر. ذلك أن ما تلقنه المدرسة الجزائرية من معارف وقيم ورموز وأنماط تفكير ولغة يتناقض في أحيان كثيرة مع ما تروجه مختلف المؤسسات الاجتماعية، وبتعبير أدق، أن شكل الثقافة الذي تعمل المدرسة على نشره كثيرا ما تعمل على إنتاج نماذج بشرية متناقضة مع أنماط التفكير المتداولة في الواقع.⁽¹⁷⁾

فالحديث عن إصلاح المدارس كما يرى (الصغير) يقتضى الحديث عن التغيير في ثقافة المدرسة وما يروج بها من ممارسات مهنية يومية، فما ثقافة المدرسة؟

- ثقافات المدرسة والإصلاح التربوي

تعتبر المدارس انساقا اجتماعية معقدة، فهي كيانات ثقافية في ذاتها، بما تتضمنه من المعايير والقواعد ونظم السلوك، ولذا فإنها تعتبر مؤسسات اجتماعية فريدة، ومن ملامح هذا التفرد، والذي يعتبر من محددات ثقافة المدرسة :

✚ إن المدرسة هي مؤسسة اجتماعية

✚ إن المدرسة تضع أعدادا قليلة من الكبار (المعلمين) في رابطة ما مع أعداد أكبر من الأطفال ليسوا على صلة ببعضهم البعض (التلاميذ).

✚ إن القيم والمعتقدات التي تقدمها المدارس تختلف، إن لم تكن مناقضة لتلك الخاصة بعموم الناس.⁽¹⁸⁾

مفهوم ثقافات المدرسة: هي منظومة من القيم والمعايير والمعتقدات والمبادئ والممارسات التي تكونت في المدرسة مع الوقت نتيجة لتفاعل مجتمع المدرسة (مع الإدارة والمعلمين، والطلاب)، وهي منظومة تتكون من التوقعات

و القيم التي تشكل طريقة تفكير الناس و مشاعرهم و تصرفاتهم في المدرسة. و يقتضي تحديد ثقافة المدرسة الإجابة عن التساؤلات التالية: ما نظام القيم الذي يساعد على تنفيذ رؤية المدرسة؟ ما تأثير القيم ومبادئ العمل على مستقبل العمل المدرسي و تنفيذ رؤية المدرسة.⁽¹⁹⁾

مظاهر و مستويات و خصائص و محددات ثقافات المدرسة:

يرى reid، أن ثقافات المدرسة –كشأن أي نظام اجتماعي- يمكن النظر إليها من المظاهر التالية:

✚ أنها وسيلة، يختار منها الأفراد اليات عمل الأشياء، ووسائل الوصول إلى الهدف

✚ أنها منضبطة، تخضع فيها أفعال الأفراد و استخدام و استخدام الأدوات للقواعد و النظم التي تحدد ما ينبغي اولا ينبغي عمله.

✚ أنها توجيهية إرشادية، يشتق منها الأفراد قيمهم النهائية ..و الأهداف التي يعيشون من أجلها⁽²⁰⁾

أما فيما يخص المستويات التي تظهر بها ثقافات المدرسة ، فيرى dalin، أنها تكون على مستويات مختلفة هي:

✚ مستوى ما وراء العقل، وفيه يكون إدراك القيم كالميتافيزيقا، و تركز على المعتقدات، الرمز الأخلاقي، البصيرة الروحية.

✚ مستوى العقل، حيث تشاهد القيم خلال سياق اجتماعي للمعايير، و العادات، والتوقعات، وتعتمد على التبريرات الجمعية.

✚ مستوى العقل الفرعي، وفيه يخبر الفرد القيم كتفضلات شخصية و مشاعر ذات جذور وجدانية، و تكون أساسية و مباشرة .

و يواصل dalin في عرض تحليله لثقافات المدرسة أن المستوى الثاني (مستوى العقل)، يلاحظ التزام معظم المدارس بنسق قيمى واضح حال تحديد و صياغة أهدافها، ومعاييرها، وقواعدها وتعليماتها، المنهج، الممارسات

اليومية، العادات والاحتفالات. وفي تحليل القيم على مستوى الممارسة يظهر أن مستوى العقل الفرعي، يلعب دور مهما في أكثر المدارس، لأن هذه الأخيرة ليست معتادة للتعبير عن نفسها على مستوى العقلاني.⁽²¹⁾ وإضافة للمظاهر والمستويات نجد، أن من خصائص ثقافات المدرسة، أنها ذات أنماط مميزة للسلوك، القيم، والبيئة المادية، والتي تختلف من مدرسة إلى أخرى، وإن تشابهت في بعضها، كما نجد هناك اختلاف في معايير الممارسات التدريسية من مدرسة إلى أخرى وهو ما يقلل من قدرة الإصلاحات التربوية على تحسين كل المدارس، دون مراعاة لثقافتها.

أما فيما يتعلق بمحددات ثقافات المدرسة، نعرف أن ثقافات المدرسة كما يقول محمد ماهر محمود الجمال، تتأثر في تشكيلها ومضامينها بمجموعة من التغيرات المجتمعية والتعليمية والتي اعتبرها dalin، تحديات لثقافة المدرسة وهي:

- ✚ تغيير في طبيعة مهمة المعلم
- ✚ تغيير في الجماعة الطلابية
- ✚ تغيير في معايير حياة المنظمات
- ✚ تزايد الاعتراف بقيمة العمل
- ✚ المناطق الثقافية
- ✚ التعاملات أو الإجراءات الثقافية
- ✚ القوى الثقافية
- ✚ الأبعاد الثقافية

أنماط ثقافات المدرسة: من التصنيفات الشائعة لثقافات المدرسة نجد أن هناك ثقافة رسمية وأخرى غير رسمية، ثقافة في بعض جوانبها من صنع التلميذ، وفي جوانبها الأخرى من المعلمين المعنيين بتحديد مسارات الأنشطة التلاميذ يقول محمد ماهر الجمال.

ويرى whitaker، أن احد تعقيدات الحياة المدرسية تتمثل في وجود ثلاث بيئات ثقافية مختلفة ،ولكنها ذات صلة ببعضها البعض، هناك ثقافة المدرسة ككل-تلاميذها، معلمها، الآباء-و التي تعمل معا، وهناك ثقافة الإدارة،و التي تؤسس وتشيد العمليات البنائية التي تكمن المدرسة من تحقيق أهدافها، وهناك الثقافة التنظيمية، والتي يعمل من خلالها كل فصل منفرد -تلاميذ ومعلم- لتحقيق أهداف التعليم .⁽²²⁾ وهذا ما يطلق-lerbet sereni، البنات المعقدة .⁽²³⁾ و الثقافة غير رسمية وإن فهمت وأخذت بعين الاعتبار في أي مشروع إصلاحي ستقود حتما إلى الدفع بعملية الإصلاح الشامل. لأننا لم نعد نعرف مدرسي أطفالنا، كما يتضح لنا كثيرا أن المدارس لا تعرف أطفالنا (حامد عمار)

ثقافات المدرسة وجهود الإصلاح التربوي

كيف تؤثر ثقافة المدرسة على جهود الإصلاح التربوي؟
تأخذ استجابات المدرسة -كمنظمة اجتماعية- للإصلاحات التعليمية واحد من الأشكال التالية : فهي إما أن تتشرب (تستوعب)، أو تشوه، أو تعدل ، أو تبطل الإصلاحات كيف ذلك؟

ثقافة المدرسة كداعمة للإصلاح التربوي

حتى يتسنى لثقافة المدرسة بان تلعب دورا في إنجاح وتدعيم الإصلاحات التربوية ،يجب أن يكون النظام التربوي يتسم بالمرونة، من خلال إقامة مؤسسات تعليم مفتوحة القنوات تلبي حاجة الطلاب المتنوعة، والتي تتغير بتغير حاجات المجتمع و المتغيرات العالمية...فالمدرسة الداعمة للإصلاح هي مدرسة:

- ✚ أهدافها التربوية واضحة يسعى كلا الطرفين إلى تحقيقها
- ✚ تبحث عن أفضل طريقة لعمل الأشياء أي، تحدد الأفكار ومن ثم تطبيقها
- ✚ يتولى قيادتها مدير يكون مربي جيد

✚ أن تكون التربية هي جوهر مهمتهم جميعا
✚ لديها برنامج تقويم منتظم و منظم
✚ أن تكون بيئة منظمة و آمنة للتعلم
✚ الجميع يعمل على تحرير العقول ،تحفيز الإبداع و الخيال و إتاحة الفرص

✚ الجميع يعمل بنوع من الاستقلالية
و يضيف cummins، في هذا السياق فكرة تنمية التفاعل المصغر بين المعلمين و الطلبة (Micro)، و التفاعل الأكبر بين المؤسسات المجتمعية و المجتمعات الإقليمية (Macro)، و يرى stephan، أن التغيير الأكثر فعالية في ثقافات المدرسة-حتى تكون داعمة للإصلاح- يحدث عندما يعمل الجميع الفاعلين على نمذجة القيم و المعتقدات المهمة للمؤسسة، وهنا لابد للإشارة إلى الدور المهم الذي يلعب المدير في ذلك ،فهو إما أن ينمي هذه القيم أو يعمل عكس ذلك⁽²⁴⁾ و هذا ماذهبت اليه دراسات عديدة منها(ديمة عبد علي عليان) فنجاح الإصلاح يجب أن يواكبه كما يؤكد Dalin، تغييرات في ثقافات المدرسة تشمل كلا من المعايير و القيم، والممارسات و التطبيقات. فبرامج الإصلاح كما يتصور Schostake، ينبغي أن تأخذ في الحسبان: الفصل الدراسي، المدرسة، التمدد.⁽²⁵⁾

ثقافة المدرسة كمقوض، معوقا للإصلاح التربوي

يحفل المجتمع المدرسي بعدد من المشكلات التي تتداخل مع بعضها البعض و تتبادل التأثير فيما بينها، وتتسم ثقافات المدرسة بطابع معين يؤدي في النهاية إلى تقويض جهود الإصلاح التربوي، حيث تشير الدراسات إلى مشكلات مثل:

-المناخ الاجتماعي السائد في كثير من النظم التربوية وداخل الفصل الدراسي..والذي تعوزه الديمقراطية في كثير من الأحيان.

- هناك سوء فهم لفحوى ومحتوى الإصلاح المطلوب تطبيقه من طرف القائمين عليه.

- غياب او نقص المهارات الأزمية للقيام به أو تعامل معه.

- فقدان الثقة بقدرة النظام على إنتاج إصلاحات ناجحة

- ماتسم به ثقافة المدرسة من الحذرو الخوف⁽²⁶⁾

- إضافة إلى مشكلات أخرى مثل: الغياب المتكرر الهروب من المدرسة، الإضرابات ، الضبط والانضباط في الصف (ليفنسون) وانتشار ثقافة العنف (noguera)، والدروس الخصوصية، الغش، والانحرافات السلوكية المختلفة، وهي مشكلات تقلل من كفاءة العملية التعليمية و تحول دون تحقيق أهدافها كاملة.⁽²⁷⁾

إن أهمية ثقافات المدرسة في عملية دعم أو تقويض الإصلاح أمرا أكدته دراسات عديدة (الصمادي، ومعايرة، عليان، الشرعي..)، فالمدرسة الجامدة في تركيباتها التنظيمية وأنظمتها الإجرائية، لن تكون قادرة على إحداث التغيير والتجديد وعلى نقيض من ذلك تكون عقبة أمام إدخال أي تجديد، مما يستوجب على المعنيين ببرامج الإصلاح التربوي أن يضعوا في الحسبان قوة ثقافات المدرسة لما، تلعبه هذه الأخيرة من دور أما في تكييف و امتصاص أو في استبعاد الإصلاحات ،بمعنى آخر، إن ثقافات المدرسة قد تتشرب، أو تشوه، أو تعدل ،أو تبطل استراتيجيات الإصلاح التربوي.⁽²⁸⁾، فالمجتمع أوجد المدرسة من أجل خدمة أبنائه وأعدادهم لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمر بها المجتمعات اليوم ، وحتى يتحقق ذلك لابد من إحداث الفاعلية والتأثير الفعلي بين الأفراد والمجتمع وقيام كلاً منهم بمسؤولياته المستقبلية تجاه المدرسة وتفعيل دورها إزاء المجتمع.⁽²⁹⁾

الخاتمة :

فالثقافة المدرسية ليست ركاما من المعارف العلمية الخالصة ، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك، نمط من القيم، ونسق العلاقات، ونظام للتفاعل بين

أعضائها.وتكمن مهمة هذه الثقافة في تشكيل أنماط من السلوك و الاتجاهات و الوعي عند الناشئة وذلك علاوة على الدور و الوظيفة العلمية التي تؤديها...فنجاح الأطفال في المدرسة، لا يتوقف على مدى تمثيلهم للجانب العلمي في ثقافة المدرسة فحسب، وإنما يرتب ذلك في مدى قدرتهم على تمثيل معاييرها السلوكية وفي تشرهم لقيمها الثقافية، فالمدرسة بيئة نفسية اجتماعية قبل أن تكون بيئة معرفية يقول على وظيفة.⁽³⁰⁾

وحتى لا نفقد الثقة بالنفس و التشيئ في وجودنا كما يقول جان بودريار " أنا الذي كنت ذات مرة ،الموضوع المتفرد للتقييم الوجودي ،غدوت الآن شيئاً،أو موضوعاً توجهه التكنولوجيا بوصفها الفاعل،وعلي فقط أن أطيع"،⁽³¹⁾، وإذا ما أريد للمدارس أن تكون أفضل فإنه ينبغي عليه ،أن تصنع تغييرات ذات دلالة،.للان التكلفة الاجتماعية المترتبة على فشل الإصلاح التربوي يمكن أن تكون كبيرة ،وقد تصل إلى ارتفاع معدلات الجريمة والانحراف،زيادة معادلات البطالة، وارتفاع وتيرة الاضطرابات⁽³²⁾ من هنا فإن تحقيق الأهداف الشاملة للعملية التربوية القائمة في المدارس ،تحتاج إلى ضرورة التعرف على الثقافة السائدة في المدارس لما تشمل عليه من فلسفة، وقيم ومعتقدات، وأعراف، وتوقعات، إذ تمثل في الواقع حصيلة التفاعل الاجتماعي للعاملين في المجتمع المدرسي.⁽³³⁾

المراجع:

1. جمال علي الدهشان: نماذج عربية وعالمية في ضمان الجودة والاعتماد في التعليم الجامعي، مصر مارس 2009
2. علي وظيفة وعلي جاسم: علم الاجتماع المدرسي، بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1، لبنان 2004

3. Fournier. M. : "L'école Peut- Elle Encore Transmettre Des Savoirs? «In, Sciences Humaines, N°120, Octobre 2000

4. ابن المنظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف ، القاهرة
5. الحجار، رائد: أولويات إصلاح النظام المدرسي الفلسطيني في ضوء مفهوم الصحة المنظمية، بحث مقدم في مؤتمر الأول للتربية . نوفمبر 2004، عن
6. الحاثي إبراهيم: نحو إصلاح المدرسة في القرن 21، مكتبة الشقري الرياض، 1978،
7. بلقيس غالب الشرعي: دور المشاركة المجتمعية في الإصلاح المدرسي "دراسة تحليلية" ورقة عمل مقدمة في لمؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات، 17، 19، دبي الامارات، 2007،
8. الكراسنة و الخزايلة: الانسجام العناصر الانسانية في المدرسة كناظم ودوره في تحقيق الاصلاح المدرسي ورقة عمل مقدمة في لمؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات ، 17، 19، ابريل ، 2007، دبي الامارات
9. الصغير احمد: اصلاح المدرسي ورقة عمل في مؤتمر الاصلاح المدرسي تحديات وطموحات، 17، 19، ابريل ، 2007، دبي الامارات
10. الكراسنة و الخزايلة: الانسجام العناصر الانسانية في المدرسة كناظم ودوره في تحقيق الاصلاح المدرسي ورقة عمل مقدمة في لمؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات ، 17، 19، ابريل ، 2007، دبي الامارات
11. الخطيب احمد: تجديدات تربوية و ادارية: عالم الكتب، عمان 2006
12. الصالح عبدالله: المنظور الشامل للإصلاح المدرسي، ورقة عمل مقدمة في لمؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات ، 17، 19، ابريل، 2007، دبي الامارات
13. ا.د بوفلجة غيات: التربية والتكوين بالجزائر، مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية ، دار الغرب للنش والتوزيع ، ط1 ، 2002،
14. تركي رابح: اصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب (ديوان المطبوعات الجامعية) الجزائر، ط1989، 2.

15. تركي رابح: اصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب (ديوان المطبوعات الجامعية) الجزائر، ط2، 1989.
16. محمد بوكحيل:
<http://dlamjia.jeeran.com/123/archive/2007/10/353342.html>
17. علي سموك: المشروع التربوي الجزائري بين معوقات الأزمة وواقع العولة مقارنة سوسيولوجية" ، مجلة العلوم الإنسانية -جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005
MAAROUF NADIR: L'Algérie Pluri – Culturel IN (NAQD)-Revue D'études Et De Critique Sociale) N° : 05.Avril–Août.Algérie. 1993.
18. محمد ماهر الجمال، نحو ثقافات داعمة للإصلاح التعليمي ، المكتبة الأكاديمية 2006
19. خميس المزروعي:المنتدى التربوي
20. Ivan Reid: sociological perespectiveson school& education,1978, 20
محمد ماهر الجمال مرجع سابق
21. Dalin عن محمد ماهر الجمال الأكاديمية 2006
22. WHITAKER عن محمد ماهر الجمال الأكاديمية 2006
23. LERBET-SERENI: LE REGULATION DE LA RELATION PEDAGOGIQUE ?ED ?L'HARmattan1997
24. STEPHAN(1994) عن محمد ماهر الجمال الأكاديمية 2006
25. محمد ماهر الجمال، نحو ثقافات داعمة للإصلاح التعليمي ، المكتبة الأكاديمية 2006
26. سامي عبد السميع :ثقافة المدرسة في ضوء ديمقراطية التعليم، رسالة دكتوراه ، عن محمد ماهر الجمال ، نحو ثقافات داعمة للإصلاح التعليمي ، المكتبة الأكاديمية 2006
27. برادلي ليفنسون: الانضباط ورؤيته من المستويات ألدني، عن محمد ماهر الجمال ، نحو ثقافات داعمة للإصلاح التعليمي ، المكتبة الأكاديمية 2006
28. بلقيس غالب الشرعي، 2007.

29. . علي وظفة وعلي جاسم: 2004
30. . حامد عمار، عولمة الاصلاح التربوي بين الوعود والانجاز والمستقبل، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة 2010
31. . Jeremy white :school for the 21century1997، عن محمد ماهر الجمال 2006
32. . احمد عبد الحميد، الصمادي معايرة: اتجاهات طلبية المرحلة الأساسية نحو المدرسة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22، العدد الثاني، 2006،